Arrasikhun International Journal, Special Issue , September 2020

ISSN: 2462-2508

قراءة في نظرية الصراطات المستقيمة عند الدكتور عبدالكريم سروش

يونس جعفر كاظم مكي البقالي

باحث في مجال أصول الدين/ البحرين

stu-bh87@hotmail.com

ملخص البحث

تبلور مشروع الدكتور عبد الكريم سروش في الفضاء الإيراني الشيعي الذي بدأت ملامحه تظهر بعد الثورة الإيرانية، فكانت كتابات سروش تنتقل بشكل واضح من التراث إلى سؤال الحداثة والتجديد عبر نقاشات وحوارات في ثوابت المعرفة الدينية يريد منها إصلاح الفكر الديني. ومن هذا المنطلق، قام سروش بقراءة جديدة للعقل الإسلامي من خلال نقد بنيته الداخلية وتفكيك مجالاته وحدوده، ومناقشة بديهياته التي تشكل أسس الإيمان عند المسلم، ولم يقتصر سروش على ذلك بل قام بتأسيس بشرية المعرفة الدينية وربطها بما يسميه السياق التاريخي للإنسان والأفق الذي تصدر منه المعارف؛ فالمعرفة الدينية عند الدكتور سروش تمثل نتاج قراءات واستنتاجات البشر الذين لا يتسمون بالعصمة وهي خلاف الدين مما يعني امتناع احتكار فهم الدين على فئة معينة وإتاحة المجال للآخرين مقترحًا منهجا لتجديد المعرفة الدينية. وقام سروش أيضًا بتقسيم المعارف الدينية وأصولها إلى ضرورية وثانوية، وذهب إلى أن الأخيرة لا تمثل صلب الدين وليست من ضروريات الإيمان؛ وقد بسط ذلك في نظريته الذاتي والعرضي في الدين ليجعل الأمور التي يجب الاعتقاد بها لا يتجاوز عددها أنامل اليد، كما أنه وضع نظرية أراد من خلالها أن يحل معضلة الفرقة الناجية فخرج بفكرة الصراطات المستقيمة التي تؤكد فكرة تعدد الحقائق وصوابية جميع المجتهدين والفرق والأديان كحل لإرساء التعايش والسلمية على وجه الأرض، وقد قام الباحث ببيان الأخطاء التي وقع فيها الدكتور سروش وجانب فيها الصواب وأثر تداعيتها على صعيد الفكر الإسلامي.

الكلمات المفتاحية: الحداثة، الفكر، الديني، نظرية

ISSN: 2462-2508

Abstract

The project of Dr Abdul-Karim Soroush was obvious in the Iranian Shiite space. Its features began after the Iranian revolution. Soroush's writings were clearly transferred from heritage to ask modernity and innovation through discussions and dialogues in religious constant knowledge to reform the religious thoughts.By this way, Soroush made a new reading to the Islamic mind by criticizing the internal structure of Islam and dismantled the scopes of Islam. He discussed the religious axioms that form the foundation of faith for a Muslim. In addition, Soroush established the humanity of religious knowledge and he linked it to the historical context of human and the horizon that exports knowledge. Dr Soroush's religious knowledge represents the reading productions and human being's conclusion who are not infallible, which is unlike the religion which it means forbid monopoly in religion knowledge by particular group and allow other to participate by suggesting an approach to renew the religious knowledge.Dr Soroush permeated the religious knowledge and origin and he divided them to essential and secondary. He decided that the secondary does not represent the core or of religion or the necessity of faith because he sees it represents the shell of religion, which is change constantly. He clarified that in his theory self and transverse in religion to the matters of faith are not more than the number of hand fingers. For that, he assured that the religion's domain is limited. Also, he put a theory to solve the dilemma of the saved group and he concluded the idea of the straight paths which confirmed on the idea of multiple realities and correctness all clerks, sects and religions as a solution to establish coexistence and peace on the Earth.In the parallel with presentation, the researcher clarified the errors that Dr Soroush made and its repercussion on the Islamic thought.

Key words: modernity, thought, religious, theory.

ISSN: 2462-2508

المقدِّمة

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد، فمنذ أوائل القرن الماضي ونزعات التجديد والإصلاح الديني تفترش الساحة الإسلامية والعربية وحتى يومنا هذا، وقد تمخض عنها مجموعة من الأبحاث المتجددة – بغض النظر عن صحتها أو سقمها– والتي تسعى إلى إحياء الفكر الديني وتقديمه بصورة عصرية ليكون مقبولًا لدى الجميع مع الحفاظ على أصالته ونقاء مبادئه.

وقد أثيرت مؤخرًا في الجمهورية الإسلامية بإيران مجموعة من الأبحاث المعاصرة تناولت مواضيع حساسة وجريئة في الفكر الإسلامي بشكل عام ومست الفكر الشيعي بشكل خاص على يد مجموعة من المفكرين والمثقفين الذين يرومون عصرنة الفهم الديني، ومن أبرز هؤلاء المفكر الإيراني الدكتور عبد الكريم سروش، والذي تناول في مشروعه الضخم نظريات فهم النص من قبيل الهرمنيوطيقا الفلسفية[1] وقضية التعددية الدينية وأبحاث فلسفة الدين ونسبية المعرفة ونظرية تكامل المعرفة ومسألة الإمامة والفقه الإسلامي ونظرية ولاية الفقيه وكذلك مشروع العلمانية والليبرالية وغير ذلك.

غير أن ما يميز الحراك الفكري الذي أحدثه الدكتور سروش أنه نشأ من مناخ شيعي خاص، على عكس المثقفين والمفكرين العرب الذي نمت وتفاعلت ثقافتهم وآراؤهم في الجسم الإسلامي السني، فكان الدكتور سروش معنيًا بعلماء الإمامية ومرويات الشيعة، وهذا ما يجعل تناول التجربة الإيرانية الشيعية في مسألة الدين والعقل أمرًا مميزًا وجديرًا بالبحث والدراسة؛ ذلك لأنها تضّخ فكرًا وثقافة في مناخ جديد لم تعرفه الثقافة العربية إلى حدٍّ كبير.

وفي هذا البحث يعرض الباحث الفكر الحداثي عند الدكتور عبد الكريم سروش وآراؤه المتعلقة بالتعددية الدينية، ومن ثم معالجتها وتقويمها إسلاميًا مع الإشارة إلى ما لهذه النظريات من آثار وتفسيرات صحيحة أو متطرفة.

مشكلة البحث:

يعد مشروع المفكر الإيراني الدكتور عبد الكريم سروش في تجديد ونقد الفكر الإسلامي من أكثر الأبحاث إثارة للجدل والخلافات بين العلماء والمفكرين في الساحة الإيرانية والعربية؛ لما تطرحه مؤلفاته من قضايا وإشكاليات تتعلق بفهم وتفسير الدين والوحي والنبوة والمعرفة الدينية والتعددية الدينية وآليات فهم الدين وفلسفة الدين وغير ذلك مما يستدعي تحولًا جذريًا في المبادئ والأصول الإسلامية المتفق عليها بين جميع المسلمين، فكان البحث متناولًا أصول مشروعه المتمثل برؤيته للعقل والدين وتمثلاتهما في الفكر الإسلامي مع بيان موقف الفكر الإسلامي الأصيل منه.

أسئلة البحث:

(1) هي نظرية تعنى بعملية فهم وتفسير النصوص أو هي عبارة عن فن فهم النص وتأويله. انظر، عمارة، **اللغة والتأويل: مقاربات في الهرمنيوطيقا العربية والتأويل العربي الإسلامي** ط1، ص19

ISSN: 2462-2508

1- ما هي الأسس والمباني العقدية والفكرية التي ينطلق منها الدكتور سروش في نظرية الصراطات المستقيمة؟

2- ما موقف الفكر الإسلامي الأصيل من نظرية الصراطات المستقيمة التي يدعو إليها الدكتور سروش ويعتبرها الحل الأمثل لإرساء الوحدة والتعايش بين البشر؟

3- ما هي الآثار العقدية والفكرية التي يؤول إليها تطبيق آراء سروش على الفكر الإسلامي؟

أهداف البحث:

تتلخص أهداف البحث في النقاط التالية:

1- دراسة الأسس والمباني الفكرية والعقائدية التي ساهمت في صياغة نظرية الصراطات المستقيمة عند الدكتور سروش والكشف عن الخلفية المعرفية التي ينطلق منها.

2- مقاربة نظرية الصرطات المستقيمة مع الشبهات العقائدية القديمة التي قام العلماء المتقدمين بنقدها والتي ذهب سروش إلى تبني بعضها

3- نقد المباني والأسسة المعرفية التي ترتكز عليها نظرية الدكتور سروش.

4- بيان الآثار العقائدية والفكرية لتطبيق نظريته.

منهج البحث:

اعتمد الباحث المنهج الوصفي والمنهج النقدي، وذلك بعرض نظرية الدكتور عبد الكريم سروش في التعددية الدينية والمسمات بالصراطات المستقيمة، ثمّ محاولة تحليلها، ومناقشتها ونقدها.

المبحث الأول: نظرية الصراطات المستقيمة (التعددية الدينية) عند سروش:

المطلب الأول: جذور مسألة التعددية الدينية في نظر الدكتور سروش[1].

يدعي الدكتور سروش أن الله عز وجل هو أول من أسس لنشأة التعددية ودعا لها من خلال أنبياءه ورسله الذين بعثهم إلى الأمصار والمجتمعات المتباينة في عاداتهم الثقافية والاجتماعية والسياسية وغير ذلك إذ كانوا يختلفون فيما بينهم فأنزل الله شرائع مختلفة تتناسب وتلك المجتمعات، فكان منها شريعة موسى وعيسى ومحمد عليهم السلام، يقول الدكتور سروش في هذا الشأن:"إن أوّل واضع لبذور التعددية في العالم هو الله تعالى؛ ذلك حين أرسل أنبياء متعدّدين فتجلّى على كل واحدٍ منهم وبعثه إلى مجتمع معين"[2].

(1) ولد المفكر الإيراني المعاصر عبد الكريم سروش في مدينة طهران في عام 1945م لأبوين إيرانيين، نال شهادة الدكتوراه في الكيمياء التحليلية من جامعة لندن، وبعدها ذهب إلى كلية تشيلسي ودرس تاريخ وفلسفة العلوم، وخاصة فلسفة كارل بوبر الذي تتلمذ على يديه، وأمضى فيها ما يقارب خمس سنوات في المملكة المتحدة وقد أتيحت له فرصة التعمق في دراسة النظريات الفلسفية الغربية ورصد تطوراتها لاسيما مباني المدرسة الوضعية والمناهج النقدية الحديثة، ألقى المئات من المحاضرات وأقام العديد من الحوارات والمقابلات وشارك في العديد من المؤتمرات، ألّف سروش العديد من الكتب باللغة الفارسية وقد ترجمت إلى الإنجليزية والعربية منها كتاب: بسط التجربة النبوية، القبض والبسط في الشريعة، التراث والعلمانية، السياسة والتدين، العقل والحرية، أرحب من الأيدولوجيا، الصراطات المستقيمة، نقد الأسس المنطقية للاستقراء وغير ذلك. انظر، سروش، **العقل والحرية**، تعريب: أحمد القبانجي، ط1، ص11.

(2) اليزدي وسروش وقائمي، **بين الطريق المستقيم والطرق المستقيمة: وجهات فلسفية في التعددية الدينية**، ص34

ISSN: 2462-2508

وكأنَّ الدكتور سروش يريد أن يثبت دعواه تلك بتقريب مفاده أن الدين الإسلامي فتح باب الاجتهاد والتفسير لمن يمتلك آليات فهم الدين ويقدر على استنطاق الشرع، ولم يحتكر فهم الدين وعملية الاستنباط على فئة معينة أوجب على الآخرين تقليدهم فيها ولذا فإن مسألة التعددية الدينية قد أخذت طابعًا مصرحًا به في الدين الإسلامي(1).

قال الدكتور سروش: "ورغم أن فكرة البلورالية أو التعددية تبدو جديدة من حيث اللفظ، إلاّ أنها تمتد في أعماق تاريخ الفكر البشري، ليس على مستوى تاريخ الفكر الإسلامي فحسب بل تمتد جذورها في التاريخ الفكري للبشرية أيضًا، ومن الطبيعي أن يحظى الطابع الإسلامي في هذه الأطروحة بالنسبة لنا بجاذبية أكبر، ولذلك أسعى إلى تركيز الكلام على هذه الزاوية"(2).

هذا النص من كلام الدكتور سروش يُفهم منه أنه يريد أن يبرز قضية التعددية الدينية على أنها ليست حديثة العهد في التاريخ الإسلامي وإنما الحداثة فيها اختلاف المصطلح، فالتعددية السياسية والاجتماعية من أجل التعايش كانت قديمة في التاريخ البشري وعاصرها المجتمع الإسلامي من قبيل أهل الكتاب الذين سُمح لهم بالتواجد في المجتمع الإسلامي وجعلت لهم حقوق وواجبات كثيرة تنظم التعايش وتقرر الاعتراف بهم كمواطنين في ظل الحكم الإسلامي(3).

إلا أن إطلاق الدكتور لتحقيق التعددية –كما قد يُستفاد من كلامه– يتعارض مع موقف الإسلام من المشركين والملاحدة والكفار مثلًا فإنه يكاد يكون تحقيق التعددية والتعايش فيما بينهم معدومًا إذ لم يُعترف لهم كمعتقد ولم يُسمح لهم بالتواجد في المجتمع الإسلامي إلا بعد أن يدخلوا في دين الله عز وجل(4).

المطلب الثاني: مفهوم التعددية الدينية عند الدكتور سروش.

أسس الدكتور سروش نظريته في التعددية الدينية أو ما تسمى بالصراطات المستقيمة على أساس أنها نظرية معرفية تدخل في حقل حقانية الأديان والمذاهب وقد كشفت — في نظره – على أن الكثرة والتنوع الموجود بين الأديان والمذاهب يمثل ظاهرة واقعية وحقيقية(5) ويعد إفرازًا طبيعيًا غير قابل للاجتناب بمقتضى جهاز الإدراك البشري المختلف من إنسان لآخر، وهي أمر لا بد منه لتشكيل أي بناء لاهوتي ومعرفي بل إن روح التعددية الدينية هو الذي يضفي على الأشياء قيمتها وأهميتها ومصداقيتها(6) ولذا فإنه يرى أن من الخطأ أن يحصر الحق في فئة أو دين أو مذهب وإنما جميع اعتقادات الناس

(1) العاملي، **قراءة في التعددية الدينية: هل هي دعوة إلى اللادينية؟** ، ص16-17

(2) سروش، **الصراطات المستقيمة: قراءة جديدة لنظرية التعددية الدينية**، ص16

(3) العاملي، **قراءة في التعددية الدينية: هل هي دعوة إلى اللادينية؟** ، ص16-17

(4) المرجع السابق ص17

(5) حب الله، **التعددية الدينية: نظرة في المذهب البلورالي** ط1، ص29

(6) الهلالي، **الفكر العلماني في إيران الإسلامية**، ط1، ص48.

ISSN: 2462-2508

تعتبر محقة وصحيحة " إذ ليس هناك حق واحد بل هناك الكثير من أشكال الحق"[1].

فالتعددية الدينية أو البلورالية الدينية عند الدكتور سروش "تعني عدم وجود قراءة رسمية للدين في الفضاء الذي تعيش فيه آراء مختلفة وقراءات متعددة كلها تحظى بمقدار معين من الصدقية والرسمية، ولذلك لا توجد في هذا الخطاب فئة أو طبقة رسمية من رجال الدين والمفسرين لنصوصه ولا يمكن أن يقبل هذا الخطاب بوجود هذه الطبقة"[2]

يقول الدكتور سروش: "هذه النظرية تقف في مقابل الانحصارية الدينية التي ترى أن الحقانية والهداية والسعادة تكمن في اتباع دين معين وأن المخالفين والمنكرين لهذا الدين يتسمون بالعناد عن الحق أو من المستضعفين والمعذورين."[3]

وكأنَّ الدكتور سروش يرى أن من الخطأ القول بأن الحقيقة والخلاص وكذلك النجاة والسعادة الدنيوية والأخروية موجودتان في دين واحد فقط، بل على العكس من ذلك فإن النجاة تتحقق في الدارين في جميع الأديان والمذاهب؛ ذلك أن الاختلافات الواقعة فيما بينهم لا تعدو سوى تعارضات سطحية لا تمس صلب العقيدة والدين، وبعبارة أخرى فإنَّ جميع الأديان منصهرة في طريق واحد مهما اختلفت في فروعها وقشورها[4].

ولعل الدكتور سروش في تعريفه للتعددية يريد أن يبين أن نظرية التعددية هي عبارة عن خيارات جميلة ومختلفة، فالتعدد في الأديان أو في المذاهب أو في اللغات أو في التجارب العلمية والطبيعية يفسدها القول بانحصار الحق، يقول الدكتور سروش: إنَّ التعددية أو أطروحة البلورالية تعني "الاعتراف برسمية التعدد والتنوع في الثقافات والأديان واللغات والتجارب البشرية، والبلورالية، أي التعددية، بالشكل الموجود حاليًا تعد من نتاجات الحضارة الجديدة وتبحث في مجالين مهمين: أحدهما في مجال الأديان والثقافات، والآخر في المجال الاجتماعي. فهناك بلورالية في المعرفة الدينية وبلورالية في المجتمع، أي الدين البلورالي والمجتمع البلورالي."[5]

المطلب الثالث: المدارس الفكرية التي بلورت فكرة التعددية الدينية عند عبدالكريم سروش:

بقدر ما ينسب سروش مقولاته وأطروحاته المتعلقة بالتعددية الدينية أو ما يسميها بالصراطات المستقيمة ينسبها إلى الفكر الإسلامي كذلك، كانت تنتمي إلى الحداثة الغربية والفلسفة الأوروبية المعاصرة

(1) سروش، **الصراطات المستقيمة: قراءة جديدة لنظرية التعددية الدينية** ص8

(2) سروش، **السياسة والتدين: دقائق نظرية ومآزق عملية** ص80-81

(3) سروش، **الصراطات المستقيمة: قراءة جديدة لنظرية التعددية الدينية** ص8.

(4) حب الله، **التعددية الدينية: نظرة في المذهب البلورالي** ط1، ص26-27.

(5) سروش، **الصراطات المستقيمة: قراءة جديدة لنظرية التعددية الدينية**، ص15.

ISSN: 2462-2508

أيضًا، وإن لم يصرح هو بذلك في جملة من الأفكار التي يروج لها[1].

وعند الحفر في البنية المعرفية للدكتور سروش نجد أن هناك عدة باحثين ومفكرين أثَّروا بشكل كبير في صياغة وبلورة آراء سروش كجلال الدين الرومي[2]، وعلي شريعتي وبوبر وغادمير وغيرهم، وكان كل واحد منهم يمثل مدرسة فكرية—إن صح التعبير – ومنهجًا له أهدافه ومشاريعه.

أولًا: المدرسة التجديدية: علي شريعتي:

يذكر الدكتور سروش أن لفكر شريعتي دور في نمو فكره التجديدي، فقد كان شريعتي يدعو إلى تجديد الفكر الديني من خلال إخراج الناس من حالة التسليم والتعبد والانقياد عبر طرح الأسئلة الجريئة والحساسة في الفكر الديني وقد أشعل نار الشك والسؤال في فكر المثقفين والمفكرين الإيرانيين– على حد تعبير سروش – ولذا " فإن الدكتور شريعتي امتلك أفكارًا جيدة جدًا، وهي دون مبالغة معلمة لنا جميعها ونحن اليوم محتاجون إليها"[3] ولقد تأثر به كثيرًا حتى أضحى ملهمًا له ومعلمًا ينهج نهجه ويواصل طريق التوفيق بين العلوم الإسلامية والمناهج الغربية[4].

ومن هنا يدعي سروش أن هذه اللحظة كانت بداية لنشوء النزعة التجديدية لديه، فجعلته يتبنى منهج التنوير الديني ذلك لأنه يعتقد أن منهج شريعتي "يمكن أن يُعد تنويرًا دينيًا، بدليل أنهما نظرا إلى الدين من الخارج، وأرادا أن يفسحا له مكانًا في جغرافية المعرفة الأوسع".[5]

ثانيًا: المدرسة الصوفية: جلال الدين الرومي:

تأثر سروش كثيرًا بمدرسة العرفان والتصوف وكان كثيرًا ما يستشهد في كتبه ومقالاته ومحاضراته بأشعار جلال الدين الرومي وحافظ الشيرازي التي تتسم بالرمزية عندما يريد إثبات معرفة دينية تتسم بالتعقيد وتدعيمها بحججه ولذا يجد المتتبع لبحوث سروش كمّاً كبيرًا من الشعر الصوفي للرومي أو من غزليات المتصوف حافظ الشيرازي، ولعل السبب في أنه أطلق على نظريته اسم القبض والبسط هو كثرة تداولهما في الأدبيات الصوفية[6].

ولكثرة استحواذ الرومي على فكر سروش، قدم الأخير عدة أبحاث عنه ساهمت في فتح آفاق جديدة

(1) أعاب غير واحد من الباحثين على سروش أنه لا ينسب الأفكار والنظريات إلى أصحابها في مقالاته وكتبه وحواراته. انظر لاريجاني، **المعرفة الدينية في نقد نظرية د. سروش**، ترجمة: محمد شقير ط1، ص11.

(2) متصوف وشاعر إيراني كبير، ولد عام 604هـ، درس الكثير من العلوم الإسلامية وتأثر بمحي الدين بن عربي، تمتاز كتاباته ومؤلفاته وأشعاره بالرمزية ومن أبرز كتبه كتاب المثنوي، وقد توفي عام 672هـ . انظر مثنوي، **المثنوي: مولانا جلال الدين الرومي**، ج1، ص8-30.

(3) سروش، شريعتي وتجديد الفكر الديني ، الإسلام والتنوير: مجلة الوعي المعاصر عدد 8+9 : ص 106

(4) Ruben den Hertog, *Three theological attempts to relate Islam to modernity: Comparing the views of Soroush, Ramadan and An-Na'im*, Utrecht University, 2010 p16

(5) سروش، عبد الكريم، **القبض والبسط في الشريعة** ص 108

(6) سروش، **العقل والحرية**: ترجمة أحمد القبانجي ط1 (بيروت، دار الإنتشار العربي 2010) ص 21، ولا يخفى لدى القارئ أن المتصوفة والعرفاء لهم اصطلاحتهم ومختصاتهم ا لتي يصعب إدراكها إلا بعد الخوض العملي والعلمي في ذيَّاك المجال.

ISSN: 2462-2508

لصياغة فكره وتمخض عنها نقطة تحول كبيرة في حياته المعرفية والتجديدية جعلته يقول إن "كلام المولوي هنا حجة (إثبات التعددية الدينية) في المقام، وأنا بدوري أعتمد في هذا الباب على أعمال جلال الدين المولوي لأنني أولًا: أرى أنه خاتم العرفاء، وثانيًا: إن بيانه يمثل أحلى وأجمل بيان"[1] ولذا كان يعتبره في مقام أستاذه ويذهب إلى إعطاء نصوصه مساحة كبيرة من القداسة والحجية.

ثالثًا: المدرسة الفلسفية: إمانويل كانْت[2]

قدم الدكتور عبد الكريم سروش صياغة معرفية في تجديد الفكر الديني أطلق عليها القبض والبسط في الشريعة استلهمها من منهج الفيلسوف كانْت في المعرفة القائم على الفصل المنهجي بين الشيء لذاته والشيء لذاتنا، فذهب سروش إلى التمييز بين الدين كحقيقة ثابتة وبين الفكر الديني كظاهرة نسبية لها قراءة تتسم بالتعدد والتغير بحكم طبيعتها البشرية واعتبر التمييز بينهما ركنًا أساسيًا في نظريته المعرفية[3]، فالوحي والدين والشريعة في نظره ثوابت وأما الفكر الديني أو المعرفة الدينية فهو عبارة عن الفهم والتفسير وجميع الاستنباطات والقراءات التي قدمها العلماء والفقهاء وهي تختلف من عصر إلى آخر وتحتوي على الصحيح والسقيم.

رابعًا: المدرسة التجريبية: كارل بوبر

كان كارل بوبر أستاذًا لسروش أثناء دراسته في كلية تشيلي في بريطانيا ولقد تأثر كثيرًا بنظرية المعرفة وفلسفة العلوم لديه، فذهب سروش لتبني نسبية المعرفة وخصوصًا نسبية الفهم الديني[4] وصيرورة الأفهام البشرية بأنها تمثل احتمالا وليست معرفةً نهائية وكذلك فيما يتعلق في مقاربته للتعددية الدينية والدعوة إلى الليبرالية بنحو — يعتقد فيه سروش أنها لا تتعارض مع مفاهيم الدين الإسلامي كما يدعي ، وقد أثارت الكثير من الجدل في الساحة الإيرانية، حتى إن سروش يرى أن التجربة الدينية التي يعيشها المؤمن لا تختلف في بنيتها وحقيقتها مع التجربة العلمية المختبرية[5].

كما يمكن ملاحظة التأثير الكبير لبوبر في تأليف سروش كتابًا ينقد فيه الأسس المنطقية للاستقراء لمحمد باقر الصدر[6] حيث رفض فيه سروش نتائج الاستقراء

(1) سروش، **الصراطات المستقيمة: قراءة جديدة لنظرية التعددية الدينية**، ترجمة: أحمد القبانجي ط1، ص28 وانظر أيضًا تعريفه للدين من خلال شعر مولوي، يقول الدكتور سروش: " ومن أجل توضيح هذا الموضوع أستعين بكلام المولوي في هذا المجال" **الحرية والعقل** ص85

(2) إيمانويل كانت، فيلسوف ألماني (1724–1804م) يتبنى المذهب العقلاني والمذهب التجريبي في الفلسفة النظرية، عاش في كونيغسبرغ بروسيا، كان يعد أحد أبرز الفلاسفة الذين أثَّروا في الثقافة الأوروبية المعاصرة، وآخر فلاسفة عصر التنوير. انظر طرابيشي، **معجم الفلاسفة** ط3 ص513–514

(3) Banafsheh Madaninejad , *New Theology in the Islamic Republic of Iran: A Comparative Study between Abdolkarim Soroush and Mohsen Kadivar, Doctor of Philosophy*, The University of Texas at Austin, , 2011 P117, 122-123

(4) Ruben den Hertog, *Three theological attempts to relate Islam to modernity: Comparing the views of Soroush, Ramadan and An-Na'im*, p20

(5) انظر سروش، **أرحب من الإيديولوجيا**، ترجمة: أحمد القبانجي ط1، ص257

(6) محمد باقر الصدر، مرجع ديني شيعي كبير، ولد في العراق عام 1353هـ ، يعتبر مؤسس حزب الدعوة بالعراق، شهد له الجميع بالنبوغ والعبقرية، له العديد من المؤلفات مثل كتاب اقتصادنا وفلسفتنا وكتاب الحلقات الثلاث في أصول الفقه وغيرها، أعدم في عام 1980م. انظر

ISSN: 2462-2508

واعتبره عاجزًا عن إثبات المعرفة وإنتاج اليقين[1]، كما رفض كارل بوبر الاستقراء في كتابه منطق الكشف العلمي إذ قال: "إن وجهة نظري الخاصة تتمثل في أن الصعوبات المتعددة للمنطق الاستقرائي لا يمكن تخطيها، كذلك أيضًا الصعوبات المتضمنة في المذهب السائد هذه الأيام والقائل بأن الاستدلال الاستقرائي يمكن أن يصل لدرجة ما من الموثوقية أو الاحتمال، وتلك وجهة نظر ذائعة الانتشار هذه الأيام، رغم أنها ليست صحيحة تمامًا" [2]، ولذا تبنى نظرية جديدة تقابل نظرية الاستقراء وتعارضها وقال: إنها " تقف مباشرة كنظرية معارضة لكل المحاولات التي تعمل بأفكار المنطق الاستقرائي"[3] ولم يقتصر سروش في تبني أفكار بوبر في أطروحاته وإنما كان كثيرًا ما يستخدم نفس مفاهيم كارل بوبر[4]

خامسًا: المدرسة التأويلية: غادمير[5]:

تأثر الدكتور عبد الكريم سروش بفلسفة الهرمنيوطيقا[6] عند غادمير الذي يقول بنسبية الفهم البشري وأن الإنسان كائن تاريخاني [7] لديه قبليات وأحكام مسبقة تعيقه عن الفهم المتكامل بحكم الأفق البشري لديه، وأن الفهم لا ينفك عن الطبيعة البشرية التي يشوبها النقص والخطأ، ولذلك لا يمكن – حسب نظره –الوصول إلى يقين لدى تفسير وفهم النصوص، وهذا ما ذهب إليه سروش نفسه وكرره في مؤلفاته[8]، على الرغم من أنه ينكر أنه قد درس الهرمنيوطيقا – أي نظريات فهم النصوص الغربية- وأبدى اندهاشه من تقارب نظريته التأويلية في فهم النصوص مع نظرية غادمير وعزا ذلك لكثرة اهتمامه بحقل التأويل في القرآن الكريم ومؤلفات حافظ الشيرازي وجلال الدين الرومي مما شكَّل لديه فن التأويل الذي يتطابق مع هرمنيوطيقا غادمير[9].

إنَّ الدكتور سروش لا يكتفي في هذه المرحلة بنسبية المعرفة الدينية، بل تجاوز ذلك إلى أن جعل الدين نفسه يتسم بالنسبية من خلال مقولاته من قبيل: الذاتي والعرضي في الأديان، والدين في حده الأعلى وحده الأدنى ومسألة خاتمية النبي عليه الصلاة والسلام وغير ذلك[10].

سادسًا: المذهب العقلاني الانتقادي:

صرح الدكتور سروش في طيات أبحاثه ومؤلفاته أنه استطاع أن يرسم العلاقة بين العقل والدين، وأنه تمكن

الحسيني، **محمد باقر الصدر: حياة حافلة وفكر خلاق** ط1 ص31 وما بعدها

(1) سروش، **الأسس المنطقية للاستقراء في ضوء دراسة الدكتور سروش**، ترجمة وتعليق: السيد عمار أبو رغيف ط1، ص76-77

(2) بوبر، كارل، **منطق الكشف العلمي**، ترجمة: الدكتور ماهر عبد القاهر ط1، ص66

(3) بوبر، **منطق الكشف العلمي**، ص67

(4) مثل مصطلح قابلية القضايا الدينية للاختبار ، انظر سروش، **أرحب من الإيديولوجيا** ص264

(5) انظر ترجمته في صفحة 9 من الرسالة.

(6) هي نظرية تعنى بعملية فهم وتفسير النصوص أو هي عبارة عن فن فهم النص وتأويله. انظر، عمارة، **اللغة والتأويل: مقاربات في الهرمنيوطيقا العربية والتأويل العربي الإسلامي** ط1، ص19

(7) عرفها غادمير بقوله: "التاريخيانية هي الوجه الأخير للوضعية التي تشكلت فلسفتها وصرامتها مع أوغست كونت في القرن التاسع عشر" غادمير، **فلسفة التأويل**: ترجمة محمد شوقي الزين ط2، ص19

(8) وصفي، **الفكر الإسلامي المعاصر في إيران: جدليات التقليد والتجديد** ط2، ص294-295

(9) Soroush, *Reason, Freedom, and Democracy in Islam*, translated: Mahmoud Sadri and Ahmad Sadri, Oxford University Press, 2002 P 7

(10) سروش، **بسط التجربة النبوية** ص55، ص125، ص175

ISSN: 2462-2508

من صياغة تعريف العقل وكشف دوره في تشكيل المعرفة الدينية وكان ذلك من خلال تبني الفلسفة العقلانية الانتقادية[1]، يقول الدكتور سروش مصرحًا بذلك:" ومن خلال المعطيات والنتائج العقلانية عرفنا العقل بصورة أفضل وتوصلنا إلى مقولة العقلانية الانتقادية"[2] وأن هذه "العقلانية كانت في السابق بعيدة عن النسبية واليوم تعيش معنى النسبية"[3].

وكأنَّ الدكتور سروش يريد أن يقول إن القول بنسبية فهم العقل وعجزه عن فهم النصوص وتحصيل اليقين هو من سمات العقل الذي أؤمن به وأجعله مصباحًا لأستنير به وهذا المعنى هو ما يدعو إليه المذهب العقلاني، حتى إن المجتمع – بنظر الدكتور سروش – لا يمكنه من إقامة دولة ديمقراطية دينية إلا من خلال الاعتماد على العقل بمعناه العقلاني الانتقادي[4].

المطلب الرابع: مباني وأصول التعددية الدينية عند الدكتور سروش:

تتألف نظرية الدكتور سروش في التعددية الدينية من ثمانية مبانٍ وقواعد متنوعة تشكل في مجموعها أركان هذه النظرية، وبالتالي فإن أي تهاونٍ لأي مبنىً من هذه المباني والأسس سيشكل خللا في النتيجة المترتبة على هذه النظرية, وسيحاول الباحث بإذن الله تعالى عرض هذه المباني وتقييمها.

ترتكز نظرية التعددية عند الدكتور سروش على مبنيين رئيسين يشكلان عماد هذه النظرية ويتمثلان في تعدد فهم النصوص الدينية، وكذلك التنوع في تفسير التجارب الدينية؛ ذلك لأن النصّ الإسلامي صامت وساكن، والعقل البشري يسعى بشكل متواصل لإدراك وفهم النصوص الدينية وبيان مراد الله منها من خلال المعلومات والمبادئ والقواعد المسبقة التي يستخدمها عند قراءة النص الديني ، ولهذا تكون التفسيرات الدينية متنوعة ومختلفة، يقول الدكتور سروش: "ترتكز التعدّدية الدينية اليوم بشكلٍ أساسيٍّ على دعامتين رئيسيتين: إحداهما تنوّع أنماط فهمنا للنص، والثانية تنوع تفاسيرنا للتجارب الدينية."[5]

المبنى الأول: تنوُّع وتكثُّر فهم وتفسير الدين:

يمثل تعدد الاستنتاجات في فهم النصوص الدينية المبنى الأول الذي يعتمد عليه سروش في تصحيح القول بنظرية التعددية الدينية، وقد توسع كثيرًا لإثبات هذا المبنى في كتابه القبض والبسط النظري في الشريعة وجعله أصلًا توصَّل من خلاله إلى إماطة النقاب عن سر التعددية الدينية الذي يكمن –في نظره– في تفسير عملية الفهم ذاتها، بمعنى أن الاختلافات بين البشر في الدين ترجع إلى أمرين، أحدهما عملية الفهم نفسها والتي تبنى على توقعات وفرضيات مسبقة –لا يمكن تجاوزها – لها تأثير

(1) عرَّف الدكتور سروش المذهب العقلاني الانتقادي بأنه "عبارة عن تعقل وتفسير وفهم للواقع كظاهرة مستمرة ليست لها نهاية وأمر جمعي وسيال"، وهذا التفسير لا يمكنه أن يصل لليقين. سروش، **الصراطات المستقيمة**، ص 97

(2) المرجع السابق، ص 98

(3) سروش، **الحرية والعقل** ص34

(4) سروش، **التراث والعلمانية**، ترجمة: أحمد القبانجي ط1، ص 149

(5) سروش، **الصراطات المستقيمة: التعددية الدينية بين النفي والإثبات**، مجلة قضايا إسلامية معاصرة: التعددية والاختلاف: تجليات التعايش بين الأديان والثقافات، ، العدد20–1432/21–2002م، ص134

ISSN: 2462-2508

كبير في تنوع فهم الدين وتعدده، والثاني أن الدين ذاته صامت والمتدينين يسعون باستمرار لفهم وإدراك خطابات الشارع وتفسيرها.

يقول الدكتور سروش: "كان حديثنا في نظرية القبض والبسط هو أن فهمنا لمتون النصوص الدينية متنوع ومتعدد بالضرورة, وهذا التنوع والتعدد لا يقبل الاختزال إلى فهم واحد وليس هذا الفهم متنوعا ومتعددا فحسب بل سيالًا أيضًا والسر في ذلك أن النص صامت ونحن نسعى باستمرار لفهم النصوص الدينية وتفسيرها سواء في الفقه أو الحديث أو القرآن من خلال الاستعانة بمسبوقاتنا الفكرية وتوقعاتنا من النص والأسئلة التي تدور في أذهاننا في مرحلة سابقة."[1]

ويقرب الدكتور سروش على دعواه بأن القرآن الكريم يحتوي على المتشابه وأنه حمال أوجه وذو بطون متعددة تقع في عرض وطول بعضها لبعض، يمكن اجتماعها ويمكن تحقق التضاد فيما بينها، وكذلك الأحاديث المروية عن الرسول عليه الصلاة والسلام، فهي تحتمل معاني وتفسيرات مختلفة ومتعددة وذات مراتب، فالخطاب الإلهي في نظر الدكتور سروش يتألف من ظاهر وباطن، أو بعبارة أخرى يتشكل من قشور ولب، فكلما عرفنا معنى من المعاني كأننا أزحنا قشرة من لب الدين وهكذا.

ويكتفي الدكتور سروش بالإشارة إلى وجود طائفة من الآيات والروايات تدل على أن القرآن والسنة ليس له فهم واحد وإنما يحتمل تفاسير واحتمالات متعددة، فيقول: " لا يمكنك إنكار أن القرآن الكريم وأحاديث النبي تحتمل تفاسير متعددة وكما ورد في الروايات أن الكلام الإلهي ذو بطون بحيث إننا إذا كشفنا الطبقة أو القشرة الأولى في معنى النص لظهرت لنا طبقة أخرى من المعنى."[2]

ويضيف قائلًا: " وهناك روايات عديدة تشير إلى أن للقرآن سبعا أو سبعين بطنا[3] وهناك روايات تشير إلى بعض آيات القرآن نزلت لأقوام متعمقين سيأتون في آخر الزمان.[4]" بل إن الدكتور سروش يذهب إلى أكثر من

(1) سروش، **الصراطات المستقيمة: قراءة جديدة لنظرية التعددية الدينية**، ص16-17

(2) سروش، **الصراطات المستقيمة: قراءة جديدة لنظرية التعددية الدينية** ، ص18-19

(3) لعل الدكتور سروش يريد أن يشير إلى جملة من الأحاديث الشيعية، منها على سبيل المثال ما ورد في أصول الكافي للكليني عن محمّد بن منصور قال: سألت الإمام الكاظم عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ...﴾ فقال: (إنّ القرآن له ظهرٌ وبطن). الكليني، **الأصول من الكافي**، تصحيح وتعليق : علي أكبر الغفاري، كتاب الحجّة، باب من ادّعى الإمامة وليس لها بأهل، الحديث: 10 ، ط5 ج1 ص374

وما ورد عن جابر قال: سألت أبا جعفر الباقر عليه السلام عن شيء في تفسير القرآن، فأجابني، ثمّ سألته ثانيًا فأجابني بجواب آخر، فقلت: جُعلت فداك كنت أجبت في هذه المسألة بجواب غير هذا قبل اليوم؟ فقال عليه السلام لي: ياجابر إنّ للقرآن بطنًا، وللبطن بطن، وله ظهر وللظهر ظهر، ياجابر وليس شيءٌ أبعد من عقول الرجال من تفسير القرآن. تفسير العياشي: ج1 ص87، الحديث: 39. العياشي، **تفسير العياشي**: الحديث: 39، د.ط، ج1 ص12

(4) لعل الدكتور سروش يشير إلى هذا الحديث عند الشيعة الإمامية، قال الإمام السجاد: " إنَّ الله عزّ وجلّ عَلِمَ أَنَّهُ يَكونُ في آخِرِ الزَّمانِ أَقوامٌ يَتَعَمَّقونَ ، فَأَنزَلَ اللهُ تَعالى ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ﴾ والآياتِ مِن سورَةِ الحَديدِ إلى قَولِهِ : ﴿ وَهُوَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٦ ﴾ ، فَمَن رامَ وَراءَ ذلِكَ هَلَكَ " الريشهري، **موسوعة العقائد الإسلامية**، تحقيق : مركز بحوث دار الحديث، ط1 ج3 ص331

ISSN: 2462-2508

ذلك فيقول: إن هذا "المعنى لا يختص بالكلام الإلهي فعندما نقرأ في مكتوبات عظماء الأدباء والشخصيات العلمية والأدبية فإننا سوف نصطدم بنفس هذه الظاهرة وسنجد أن كلامهم ذو بطون ويحتمل وجوها متعددة."[1]

وبعبارة أخرى إنَّ الدكتور سروش يريد أن يبين بأن سمة التعدد في النصوص الدينية ليست منحصرةً فيها لغيبيتها وإنما هي أمر طبيعي يحصل للشخصيات الكبيرة أيضًا، وأن ذلك العمق والتعدد يتجلى في نصوص جلال الدين الرومي و أشعار حافظ الشيرازي وفي غير ذلك عبر طبقات كلامهم ونصوصهم[2].

المبنى الثاني: تنوع التجارب الدينية عند البشر:

يشكل هذا المبنى أساسًا لنظرية التعددية الدينية لدى الدكتور سروش، فهو يرى أن تفسير الدين وفهمه يندمج في مشاعر وقلب الإنسان فيتفاعل الإنسان معه ويتخذ ذلك صورًا مختلفة ومتعددة، فتارة يكون عبارة عن رؤيا يراها المتدين، وتارة يسمع صوتًا معينًا، وثالثة يستشعر التدين في النفس من خلال الإحساس العميق في النفس واتصالها بالخالق جل وعلا.

إن التجربة الدينية يفسرها الدكتور سروش على أنها "مواجهة الأمر المطلق والمتعالي"[3] الذي يكون بين الناقص والكامل، وبين الفاني والباقي، وهذه تجربة تختلف من إنسان لآخر ومدى ارتباطه وعلاقته بالله عز وجل، وذلك ينطبق على جميع البشر بما فيهم الأنبياء والرسل، بمعنى أن لا وحدة واتفاق في التجارب الدينية لدى الناس وهذا ما يجعل التعددية الدينية أمرًا حتميًا لا يمكن اجتنابه على حد تصور سروش.

وكأنَّ الدكتور سروش يريد أن يقول إنّ "الاختلاف بين الأديان ليس في واقع التجربة وصدقها، فالكل يتجه نحو مقصد واحد ويتعلق بشيء فارد، وهو تلك القدرة أو ذلك الجمال، وإنما الاختلاف في تفسيرها، والاختلاف في التفسير لا يغير من الحقائق شيئًا."[4]

المبنى الثالث: الصراعات الدينية طريق للوصول إلى الله عز وجل.

يمثل هذا المبنى دعامة لأنصار التعددية الدينية في نظر الدكتور سروش، وقد استلهمه من أبيات جلال الدين مثنوي في أشعاره الصوفية عن موسى عليه السلام ونزاعه مع فرعون[5]، ومفاد هذا المبنى يتمثل في أن التنازعات والتعارضات في عالم الوجود هي تناقضات شكلية لا تقوم على نزاع حقيقي، ذلك لأن الله عز وجل أراد أن يجعل الحيرة في القلوب من أجل أن يستكشف الإنسان الحقيقة ويسعى للبحث عنها ليصل إلى الكنز على حد تعبيره.

وبعبارة أخرى فإن سروش يريد أن يقول أن أشكال الصراع الديني هي "نحو من أنحاء اللعبة وبمثابة حرب الديكة"[6] بمعنى أن المذاهب الإسلامية والكتب السماوية التي عبث فيها العابثون ينبغي أن تفسر

(1) سروش، **الصراطات المستقيمة: قراءة جديدة لنظرية التعددية الدينية** ص17-18

(2) سروش، **الصراطات المستقيمة: التعددية الدينية بين النفي والإثبات،** مجلة ، قضايا إسلامية معاصرة، التعددية والاختلاف: تجليات التعايش بين الأديان والثقافات العدد20-1432/21-2002م ص135

(3) سروش، **الصراطات المستقيمة: قراءة جديدة لنظرية التعددية الدينية،** ص21

(4) العاملي، **التعددية الدينية: هل هي دعوة إلى اللادينية** ص56

(5) اليزدي، عبد الكريم سروش وقائمي، **بين الطريق المستقيم والطرق المستقيمة** ص39

(6) سروش، **الصراطات المستقيمة: قراءة جديدة لنظرية التعددية الدينية،** ص39

ISSN: 2462-2508

اختلافاتها وتناقضاتها على أنها تدبير إلهي لينشغل الناس بالصراع والنزاع من أجل أن يصلوا إلى الحق جل وعلا.

المبنى الرابع: تراكم الحقائق عند المذاهب والأديان:

يعلل الدكتور عبدالكريم سروش تمسكه بمسلك التعددية الدينية –في هذا المبنى– من خلال تحليله لنشأة الفرق والمذاهب الدينية، فيستبعد أن يكون العامل الأساسي في تفرق المسلمين إلى أحزاب ومذاهب متعددة كان منشؤه التحريف والمؤامرات ودسائس المنافقين والكافرين مما أدى إلى الانحراف وتناقض الضلالة وتراكهما على بعضها، وإنما كان ذلك بفعل تراكم الحقائق الإلهية نفسها، وبعبارة أخرى إنَّ " تراكم الحقائق هو السبب في إيجاد سبعين فرقة ومذهبًا"[1]. ومن هنا فإن سروش يرى دعوة الأنبياء والرسل يجب أن يُنظر إليها على أنها خطوط وطرق مختلفة وليس صراطًا واحدًا كان جميع الأنبياء يسيرون فيه، يقول الدكتور سروش في هذا الصدد " يجب أن ننظر إلى مجموعة الخطوط أنها خطوط مستقيمة قد تتقاطع فيما بينها أو تتوافق، فهنا ميدان تراكم الحقائق. أليس هذا هو ما ذكره القرآن الكريم عن صراط الأنبياء بأنهم ﴿ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسۡتَقِيمٍ ۝٤ ﴾ [يس: 4]بمعنى أن كلّ واحد منهم يتحرك في أحد هذه الطرق والخطوط المستقيمة لا أنّ المقصود صراط مستقيم واحد؟."[2]

ويحلل الدكتور سروش رأيه بأن المذاهب والآراء المختلفة والمتباينة بل والمتعارضة في الظاهر ليست في حقيقة الأمر قابعة في الانحراف والضلالة، وإنما السر في تعددها واختلافها في الظاهر هو "أنّ الحقائق المكشوفة لهم كثيرة جدًّا ولذلك بقوا متحيرين بين هذه الحقائق ويعيشون عالم الجذبة وأجواء الكثرة والتعدد في اختيار الحقائق."[3]

وكأنَّ الدكتور سروش يريد أن يقول إنَّ الحقائق الإلهية والتعاليم الدينية ليست قابلة للفهم والبيان بسهولة –وإلا لكان من السهل التمييز بين الحق والباطل بسهولة– وإنما الحق ذو بطون ومؤلف من مراتب وأبعاد متفاوتة، فما توصلت إليه المذاهب من آراء متنوعة كلها تسير في صراط البحث عن الحقيقة التي هي خيارات متعددة ولكنها متفاوتة في مراتبها لما ثبت في محله — في نظره– أن الدين الإلهي زاخرٌ بالأسرار والرموز وأن "كثرة الحقائق واختلاطها فسح المجال بالضرورة لإيجاد هذه الكثرة في ظاهرة الفرق والمذاهب، والسبيل الوحيد لنفي الكثرة نفي وجود الأسرار والحقائق الخفية وتبسيط الأمور وتسطيح الواقع، وهذا بدوره يمثل عين السذاجة والسطحية"[4].

وبعبارة موجزة إن هذا المبنى يتأسس على أنّ مقولة التعددية الدينية عند الدكتور سروش قائمة على أن الحقائق الدينية هي بطبيعتها متكثرة ومتعددة وإن اختزالها

(1) المرجع السابق ص40

(2) سروش، **الصراطات المستقيمة: قراءة جديدة لنظرية التعددية الدينية** ص 40-41

(3) سروش، **الصراطات المستقيمة: قراءة جديدة لنظرية التعددية الدينية** ص41

(4) سروش، **الصراطات المستقيمة: قراءة جديدة لنظرية التعددية الدينية** ص41-42

ISSN: 2462-2508

في صراط واحد ونهج واحد تقويض لها واستخفاف بالشرع وصاحبه بل إن مقتضى "الغيرة الإلهية والقضاء الإلهي يوجبان التعدد والتخاصم، فمن هنا رضينا بالكثرة وتعاملنا مع تنوع الأديان من موقع القبول وليس لنا طريق آخر سوى هذا الطريق، فلا نرى أصحاب الفكر المخالف مستضعفين ومعذورين بل مقتدرين ومشكورين، وبالطبع فنحن نمنح العقل حقّه في الحوار والنقد العقلاني والجدال المنطقي ونعتبر ذلك جزءًا من قضاء الله وغيرته"[1].

المبنى الخامس: اليد الغيبية ستأخذ جميع السالكين:

يحاول الدكتور سروش في هذا المبنى الاستعانة بحالات الكشف والشهود وما يسبقها من تجارب تحدث لدى العرفاء والمتصوفة ليعقد مقاربة بين من وصل إلى الطريق منهم وبين من شطح عن الطريق ليبين أن هذا الانحراف عن الجادة لدى الأخير لا يعود إلى الانحراف في الدين والمذهب ولا ينتمي إلى الصراعات الدينية بصلة وإنما هو من نوع من طلب الحق والحقيقة وأن هذا الصنف من الناس سيصل في نهاية المطاف لا محالة إلى مقصوده الحقيقي وهو الله عز وجل وإن كان في ظاهر الأمر على غير تعاليم الإسلام، والسر في ذلك " أنّ هذا الهادي ربّما يكون مستورًا أحيانًا وظاهرًا أحيانًا أُخرى، وأحيانًا يكون قريبًا وأُخرى بعيدًا."[2]

ومن هنا فإن سروش يرى أنه ليس فقط للصادقين من طلاب الحقّ "بل حتّى الكاذبين المقلدين لهم نصيب وحظّ من الهداية، وهكذا نرى أنّ الكثرات المتباعدة في الظاهر تتّجه نحو التقارب، والسالكون يتحركون في مسيرتهم المعنوية باتجاه هدف واحد ويطلبون شيئًا واحدًا وحتّى أنّ طالب الجمل الصادق والكاذب سيحصلان على ضالتهما، فالشرط الوحيد في هذا الطريق التحرك بعزم وحرارة والانطلاق بقوة لا أن يرضى الطالب بالجلوس في زاوية ويقنع بدراسة التعاليم الكلامية والفقهية الجامدة ويتصور لنفسه الهداية وأنه من أهل النجاة والسعادة."[3]

فالجميع في نظر الدكتور سروش من أهل النجاة وأنهم يبحرون في سفن متعددة ولكن هدفهم واحد وسيصلون إليه، وبعبارة أخرى فإن سروش يرى أن جميع المسلمين – بل جميع الأديان والمذاهب السماوية والوضعية– هم في طريق الحقّ وإن كانوا لا يستشعرون ذلك، ويستدل سروش على صحة مبناه هذا بقوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ ﴾ [4] ، ويعضد كلامه بما ذهب إليه الفيسلوف المسيحي كارل رانر الذي يرى "أن جميع السالكين في خط الحقّ والإيمان هم من المسيحيين في نهاية الأمر أو يمكن اطلاق عنوان المسيحيين المجهولين عليهم"[5].

(1) المرجع السابق ص42

(2) المرجع السابق ص43

(3) المرجع السابق ص45

(4) سورة آل عمران، الآية: 19

(5) سروش، **الصراطات المستقيمة: قراءة جديدة لنظرية التعددية الدينية** ص46

ISSN: 2462-2508

المبنى السادس: اسم الله "الهادي" يؤسس للتعددية الدينية:

يقوم هذا المبنى على تفسير وفهم اسم الهادي لله عز وجل، ويذهب الدكتور سروش إلى أن رفض التعددية الدينية يتعارض مع فهم وتفسير ودلالة اسم الهادي لله عز وجل، ويتساءل الدكتور سروش بتساؤل مفاده: لو قلنا بأن الطائفة الشيعية هم المهتدون فقط وأنهم المشمولون برحمة الله وهدايته ولطفه، وأن غيرهم من المذاهب الإسلامية كأهل السنة والجماعة والصوفية والإباضية وغيرهم فضلًا عن الأديان الأخرى كاليهودية والمسيحية والتي يصل عددهم مليارات وملايين الأفراد يستحقون دخول النار لأنهم في طريق الكفر والانحراف والضلال فإنَّ دعوى ذلك يتعارض مع هداية الله ورحمته التي شملت كل شيء ولا تنسجم أيضًا مع تحقق اسم الهادي لله تعالى، فأيُّ هداية وأكثر الخلق في النار؟![1] لأننا "في هذه الصورة كيف نتصور معالم الهداية الإلهية متجسدة على أرض الواقع ؟ ومَن مِن الأشخاص الذين يحظون بهذه النعمة الإلهية العامة وينالون لطف الله تعالى «الذي يعتمد عليه المتكلمون في إثبات النبوة»، وأين يتجلّى اسم الهادي على مستوى الخارج ؟"[2] إذا لم نجعل للآخرين نصيبًا من الهداية الإلهية.

بل إن الدكتور سروش يرى أن القول بانحصار الحق يعني نسف جميع الجهود الجبارة للأنبياء والرسل الذين بعثهم الله تعالى منذ بدء الخلقية بل وفشل رسالة الأنبياء – معاذ الله – لأننا في تصور سروش لا " يمكن أن نصدّق أنّ نبي الإسلام بمجرد أن وضع رأسه على وسادة الوفاة فإنّ العصاة والغاصبين نجحوا في سرقة دينه من الناس وحرموا عامة المسلمين من فيض الهداية الإلهية وأهدروا بذلك جميع أتعاب النبي الأكرم صلى الله عليه وآله؟"[3].

وفي السياق نفسه يرى الدكتور سروش أن منطلق رفض التعددية الدينية يجعل البشرية تحت سطوة إبليس وسيطرته ذلك أن أكثر من في الأرض منحرفين على هذا الفرض وأن أقلية من الأخيار هي مهتدية، في حين أن كيد الشيطان ضعيف وغير قادر على نسف الهداية الإلهية للبشر كما ورد ذلك في القرآن الكريم.

يقول الدكتور سروش: " بهذا المنطق ستعيش الأغلبية من عالم البشرية تحت سيطرة إبليس وسلطانه، بينما تقف منطقة صغيرة وحقيرة جدًا في أجواء الهداية الإلهية، فالضالون والمنحرفون أكثر بكثير كمًّا وكيفًا من المهتدين، والأخيار من الناس هم أقليّة محضة، والأديان التي أرسلها الله تعالى لهداية الخلق قد مسخت بسرعة وبأدنى جهد بواسطة الشياطين. فأكثر الناس في الدنيا يعيشون بأديان محرفة أو ليس لهم نصيب من الهداية والخير إطلاقًا وبالتالي ليس لهم نصيب في الآخرة من رحمة الله!!"[4].

(1) العاملي، **قراءة في التعددية الدينية: هل هي دعوة إلى اللادينية؟** ص81-82

(2) سروش، **الصراطات المستقيمة: قراءة جديدة في التعددية الدينية** ص47

(3) المرجع السابق ص47

(4) المرجع السابق ص48

ISSN: 2462-2508

"ومن هنا وانسجامًا مع الاعتقاد بالهداية الإلهية وضعف كيد الشطيان ذهبت المدرسة البلورالية إلى حتمية الاعتراف بشمول الهداية بدرجة من الدرجات لكل الأديان، وأن كل واحد من هذه المذاهب من شيعة وسنة وخوارج وكاثوليك وبورتستانت وأرثوذكس.. قد ناله حظه الوافر من هداية الرحمن تبارك وتعالى."[1]

المبنى السابع: عدم خلوص المذاهب الإسلامية من الباطل:

يفرق الدكتور عبد الكريم سروش في هذا المبنى بين أصل الأديان الإلهية وبين المذاهب الإسلامية، فالأديان السماوية –في نظره– تمثل عين الحق وهي نقية خالصة قد نزلت من الله عز وجل إلا أن العقل البشري لما استقبلها وحاول تفسيرها امتزجت ببشرية الإنسان فأضحت ملوثة بغبار الدنيا، ولذا فإن سروش ينفي أن تكون قراءات المذاهب الإسلامية للدين نقية وخالصة كما أُنزلت، ذلك لأنها تمثل الفهم البشري للنصوص الدينية وهذا بطبعه يستلزم الخطأ وهذا يعني أن المذاهب برمتها تحتوي على مقدار من الحق ومقدار من الباطل، "وإلاّ فلا يتحرك أي إنسان باتجاه الباطل ويترك الحقّ"[2] و "لا يوجد عاقل يتردد في تمييز الحقّ من الباطل وفي انتخاب المذهب الحقّ"[3] على حد قوله.

ويستدل الدكتور سروش على صحة دعواه بقوله تعالى:﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا﴾ [4] وكأنَّ الدكتور يريد أن يقول من خلال استشهاده بالآية الكريمة أن الله عز وجل أشار إلى حقيقة وهي أن أوعية البشر واستعدادهم لتلقي الحقائق الإلهية تتفاوت من إنسان لآخر، وهذا التفاوت أوجد التعددية الدينية.

ولم يكتفِ سروش في هذا المبنى بالتنظير وحسب وإنما صرح بجرأة أن المذاهب الإسلامية لا يمثل الإسلام الخالص الذي أمر الله الناس باعتناقه ذلك لأنه يحتوي على الحق والباطل، مما يعني – في نظر سروش– أن الإنسان المسلم أمام حقيقة واحدة وهي أن باب التعددية الدينية فضلًا عن الإنسانية لا يمكن غلقه، كما يروج لذلك "أدعياء الحصر والمغرورين بمقولة الوحدة في حقانية الدين والمتدثرين برداء الأنانية والفردية"[5] على حد وصفه.

المبنى الثامن: إيمان الناس منشؤه التقليد:

يستند أنصار نظرية التعددية الدينية إلى دعوى مفادها أن إيمان أكثر الناس المتدينين يقوم على التقليد ولا يقوم على الدليل والحجة، فهم يتبعون آباءهم والأديان والمذاهب التي نشأت عليها مجتمعاتهم دون المقارنة والبحث والتمحيص لمعرفة الحق واتباعه، يقول الدكتور سروش: " فليس جميع المسيحيين على سبيل المثال اعتنقوا المسيحية من خلال المقارنة بين الأديان والمذاهب وأذعنوا لحقانية المسيحية من موقع الدليل، فالغالب في إيمانهم هو إيمان وراثي وتقليدي، وهذا الحكم يستوي فيه

(1) حب الله، **التعددية الدينية: نظرة في المذهب البلورالي** ص85

(2) المرجع السابق ص51

(3) المرجع السابق ص51

(4) سورة الرعد، الآية: 17

(5) سروش، **الصراطات المستقيمة: قراءة جديدة لنظرية التعددية الدينية** ص55

ISSN: 2462-2508

الزرادشتيون والمسلمون واليهود وغيرهم، فالمسيحي لو ولد في مجتمع إسلامي لصار مسلمًا وبالعكس."[1]

ولعل الدكتور سروش يريد أن يبين أن الذم الوارد في قوله تعالى: ﴿ بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الزخرف: 22] بسبب التقليد الأعمى واتباع الآباء دون دليل يمثل واقع المسلمين وبل وجميع الأديان والمذاهب مصداق بارز له بل هو "لسان حال جميع المتدينين، بل جميع الناس في العالم."[2]

ولا يكتفِ سروش في نسبة العوام إلى التقليد وإنما يدخل علماء الدين أيضًا، ذلك أنه يعتبرهم خدمة لذلك الدين أو ذلك المذهب ينشرونه ويحافظون عليه ويتحركون في إطاره الذي نشؤوا عليه من موقع التقليد لا من منطلق البرهان والدليل[3]، ومن هنا فإن سروش يرى هذه المسألة ينبغي أن تؤسس للتعددية وليس للتكبر والغرور المعرفي المتمثل في الحصر، وأن على الإنسان أن يتواضع للمعرفة ولا يدعي لنفسه الحقيقة[4].

المطلب الرابع: مناقشة ومراجعة موقف سروش من نظرية الصراطات المستقيمة:

في هذا المطلب يحاول الباحث أن يقف على دعوى نظرية التعددية الدينية أو ما يسميها سروش بنظرية الصراطات المستقيمة، والتي تمثل –في نظر الباحث– شبهة عقدية قد التبست على كثير من أذهان الناس، خصوصًا العوام الغير المتخصصين منهم، وتؤول في نهايتها إلى القضاء على الدين الإسلامي برمته حتى وإن كان سروش لا يريد ذلك.

أولاً: إنَّ الباحث يرى أن الدكتور عبد الكريم سروش خالف في نظريته هذه قوله تعالى:﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ [الأنعام: 153] التي هي نص صريح أفرد فيها الله سبحانه الصراط ولم يجمعه بخلاف السبل التي قد تجرف بالإنسان إلى الهلاك والانحراف،[5] ولذا فإن الطريق إلى الله واحد وقد نص عليه القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة التي تشكل في مجموعهما الدين الإسلامي.

وذلك على خلاف من دعوى سروش التي جعلت الأديان السماوية – في شكلها الحالي– متساوية وصحيحة في الصحة والفساد فيتساوى حينئذٍ الإسلام والمسيحية واليهودية بل وتتسع التعددية الدينية عند الدكتور سروش إلى تصحيح المذاهب الوضعية الأخرى التي تنسب نفسها إلى الديانات، بناءً على دعوى عدم اليقين والجزم على أن العقائد والنظريات الدينية الأخرى ليست بالضرورة أن تكون باطلة بناء على رؤيته.

ثانيًا: إنَّ هذه الأديان لم تسلم من التحريف والتبديل والتزييف والحذف على مدى التاريخ باستثناء ديننا الإسلامي الذي جعله الله آخر الأديان وتكفل بحفظ كتابه، يقول تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ

(1) المرجع السابق، ص61

(2) سروش، **الصراطات المستقيمة: قراءة جديدة لنظرية التعددية الدينية**، ص61

(3) سروش، **الصراطات المستقيمة: قراءة جديدة لنظرية التعددية الدينية** ص61

(4) المرجع السابق ص62

(5) انظر الشاطبي، **الاعتصام**، ط ، ج3 ص193

ISSN: 2462-2508

لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ [الحجر: 9] وأما الدين اليهودي والمسيحي والصابئي فمن المتسالم أنها تعرضّت للتزوير والتحريف بشكل كبير وواسع طيلة هذه القرون، فقد أضافوا إليها وأنقصوا منها الكثير الكثير، مما أدى إلى الإخلال بحقيقة الأديان المسيحية واليهودية والصابئة، وسلب منها الركيزة الأساسية له وهي توحيد الله عز وجل. يقول الله تعالى متحدثاً عن الذين يقولون بالأقانيم الثلاثة:﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ ﴾[المائدة: 73] ومن هنا يتضح جلياً أنه لا يصلح أن تكون اليهودية أو المسيحية أو الصابئة طريقاً للقرب من الله عز وجل، بعدما لحقها التحريف والتبديل طيلة العصور المتقدمة.

فالحق عند الله واحد لا يتعدد كما يدعي سروش، قال الإمام أبو الحسين الشافعي(558هـ): "إذا اجتهد اثنان أو أكثر في حادثة، فأدى كل واحد منهم اجتهاده إلى خلاف ما أدى الآخر اجتهاده إليه.. نظرت: فإن كان ذلك في أصول الدين؛ مثل الرؤية، وخلق القرآن، وخلق الأفعال، وما أشبه ذلك.. فإن الحق في واحد من الأقوال؛ لأن الله تعالى قد نصب دليلا عليها كلف المجتهد إصابته، فإن أخطأه.. كان مذموما عند الله، وبه قال عامة أهل العلم"[1].

وقد أشار العلامة ابن كثير (774هـ) إلى هذا المعنى عند تفسير قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ﴾[البقرة:257] ذلك أن الله سبحانه أفرد النور وجمع الظلمات إشارة إلى أن صراطه عز وجل واحد وسبل الظلام والانحراف متعددة، قال ابن كثير: "وَلِهَذَا وَحَّدَ تَعَالَى لَفْظَ النُّورِ، وَجَمَعَ الظُّلُمَاتِ، لأن الحق واحد والكفر أجناس كثيرة ولكنها بَاطِلَةٌ، كَمَا قَالَ ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ [الْأَنْعَامِ: 153] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ﴾ [الْأَنْعَامِ: 1] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ﴾ [النَّحْلِ: 48] إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ الَّتِي فِي لَفْظِهَا إِشْعَارٌ بِتَفَرُّدِ الْحَقِّ وَانْتِشَارِ الْبَاطِلِ وَتَفَرُّدِهِ وَتَشَعُّبِهِ"[2].

وقال الشيخ المالكي (1225هـ) في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾ أي: الأديان المختلفة والطرق الضالة التابعة للهوى فإن من أخطأ سبيل القرآن فقد هوى؛ لأن سبيل الحق واحد، ومقتضى حجته كذلك، ومقتضى الهوى متعدد، وسبله متعددة المسالك ولهذا وحد سبيل الحق وجمع ضده [3].

وقال الشيخ السحيم في هذا الصدد: " يستحيل أن يكون الجميع على حق، لأن الحق واحد لا يتعدد، ويستحيل أن تكون كل هذه الأديان المحرفة والملل البشرية

(1) الشافعي، **البيان في مذهب الإمام الشافعي** ط1، ج13، ص59

(2) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ط1، ص 524

(3) المالكي، **العقد الثمين في شرح أحاديث** أصول الدين، ط1 ص195

ISSN: 2462-2508

من عند الله وأنها حق، وإذا تعددت – والحق واحد – فأيها الحق؟." [1]

ثالثًا: إن دعوى سروش بأن الأديان والمذاهب بل جميعها تحتوي على عناصر من الحق هو رأي لا يحظى بالتأييد من قبل أي إنسان مسلم عاقل؛ ذلك لأن الإسلام يصرح إن دين الله عز وجل وشريعة النبي محمد عليه الصلاة والسلام تامة وكاملة وصحيحة لا خلل فيها وقد اكتمل هذا الدين وتمت النعمة بظهور نور الإسلام، قال تعالى:﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ ﴾ [المائدة: 3]

إن هذه النظرية لا تنسجم مع ديننا الحنيف المصون من الزيغ والتحرف، وإن وجدان كل منصف يكشف وجود تناقضٍ واضحٍ بين هذه الأديان المحرفة والمذاهب الوضعية وتعاليمها التي تدعو لها.

رابعاً: إن مآلات هذه الدعوى الفاسدة هي تصحيح المسائل العقدية وجواز التعبد بها والاعتقاد بها مع أننا نرى فساد ذلك بالوجدان، ذلك لأن "المسائلَ العلميةَ الخبريةَ لا يُمكنُ أنْ يتعدّدَ الحقُّ فيها، فيكونَ الصوابُ مع كلٍّ منهما؛ إذْ لا يقول عاقلٌ إن اللهَ موصوفٌ بصفة الرحمة، وغير موصوفٍ! وإن اللهَ قد كتب السعادةَ أو الشقاءَ على الإنسان، ولم يكتبها! لوجود التناقُض الممتنع عقلاً"[2].

خامساً: إنّ التعددية الدينية التي يدعو لها سروش لهي نفسها الليبرالية المنسلخة والتي تتيح للفرد الإيمان بما يشاء دون مراعاة الضوابط الإلهية أو بعبارة أخرى إن هذه النظرية تأسس بوضوح إلى مبدأ الشك في الدين تحت عنوان الانفتاح والتعددية في الدينية لأنها تروج إلى "الفكرة الغربية لعدم ثبات الحق والخير والصواب، [والتي تقول] بنفي الحقيقة المطلقة، أو القول بتعددها، ينسجم مع تقريرهم في إطلاق الرأي، بخلاف ما تقرر في الإسلام من ثبات الحق والخير والصواب، وإثبات الحقائق المطلقة، ونفي تعدد الحق؛ لإيمان المؤمن بثبات ما دل عليه الكتاب والسنة"[3].

سادساً: مما يؤكد فساد رأي الدكتور سروش هو الأدلة النقلية والعقلية الواضحة والتي يؤدي عدم اتباعها إلى الضلال والسفسطة، من ذلك قوله تعالى:﴿ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ٣٢﴾[سورة يونس: 32]، وأما الدليل العقلي، أن من جوز تعدد الحق وصحح العقائد التي نسخها الإسلام أو أبطلها أو خالفت أصوله وضرورياته فقد جوز تصحيح العقائد المخالفة وهذا من الكفر الذي لا شك فيه.

ولا يخفى لدى الباحث أن هذه النظرية لا تعدو اسماً آخر للمذهب الليبرالي والعلماني الذي يتبجح بتعدديته وقبوله للآخر، فهو يجمع في ذاته مدارس متناقضة ويحوي بداخله مجموعة من الزنادقة والملاحدة وجملة من المتأسلمين الذين يناقضون أصول الإسلام ومبانيه الأساسية، كما يروج له بعض المخلطين في الدين

(1) السحيم، **الإسلام أصوله ومبادؤه** ، ط1، ج2، ص54

(2) السلمي، **أصُولُ الِفقهِ الذي لا يَسَعُ الفَقِيهِ جَهلَهُ**، ط1، ص462

(3) الشحود، **مفهوم الحرية بين الإسلام والجاهلية**، ط1، ص 167

ISSN: 2462-2508

والعقيدة الذين تتنوع أفكارهم وتختلف مشاربهم في الضلال، فمنهم من يؤيد قول الكفار والملاحدة في نفي الألوهية، وحقيقة النبوة، والوحي، والعقائد الغيبية الثابتة بالنص، ومنهم من يفصل بين الدين والدولة، ويرى ضرورة تحكيم القوانين الوضعية، وحرية الربا تنمية الاقتصاد، وغير ذلك من الأفكار والآراء الشاذة.

إن المباني التي ذكرها الدكتور سروش لتأسيس نظريته لا تعدو في نظر الباحث أكثر من ظنون لا أساس لها علميًا وإسلاميًا وهي مخالفة لصريح القرآن الكريم؛ ذلك لأنها تجعل الدين الإلهي عصيًا على الإدراك لكونه خليطًا من المذاهب والأديان المختلفة والمتباينة كما يذهب سروش، وهذا في حد ذاته مخالف لضروريات الدين ويؤول إلى تكليف الإنسان به بما لا طاقة له به.

ويرى الباحث لما كانت دعوى التعددية قديماً وحديثاً ترتكز على النسبية، فقد انتبه العلماء لخطورة هذا المعتقد الفاسد، وبينوا حكم من يقول به، بل وفصلوا في المسألة بين الجاهل والعالم والمتأول. يقول شيخ الاسلام ابن تيمية "وكل من خالف ما جاء به الرسول لك يكن عنده علم بذلك ولا عدل بل يكون عنده إلا جهل وظن... فلا يمكن أن يُتصور أن يكون الحق في نقيضه؛ وحينذ من اعتقد نقيضه كان اعتقاده باطلاً والاعتقاد الباطل لا يكون علماً.."[1].

ولعل أروع تعبير عن الدين الإسلامي هو مصطلح الصراط المستقيم الوارد في القرآن الكريم، في قوله تعالى:

﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ ﴾ [الفاتحة: 2]

فإن الصراط المستقيم عبارة عن خط واحد يقع بين نقطتين، وهما بداية انطلاقة المسلم، والغاية منه، وبالتالي لا يمكن أن يتعدد أو يتغير الصراط المستقيم.

إضافة لذلك فإن من الطريف الإشارة إلى أن اللغة العربية لم تعرف جمعاً لكلمة "صراط"، بخلاف كملة السبيل أو كلمة الطريق، فالدين الإسلامي هو الصراط المستقيم الموصل إلى الله عز وجل، وليس هناك صراط مستقيم آخر في هذه المعمورة يمكن أن يوصل الإنسان غير هذا الصراط الإلهي.

المبحث الثاني: الآثار العقائدية لآراء سروش على الفكر الإسلامي:

الأثر الأول: التشكيك في المذاهب الإسلامية:

ترتب على دعاوى سروش وموقفه من العقل والدين أنه ذهب إلى أن المذاهب على تنوعها لا تمثل فروعًا للإسلام، وإنما هي عبارة عن تجارب وقراءات مختلفة للدين، فمذهب التشيع والتسنن –في نظره– عبارة عن قراءة تهدف إلى فهم الدين الإسلامي وليس شيئًا آخر[2]، وقد نشأ مذهب التشيع – في تصوره — من خلال فهم جماعة قليلة من الصحابة لكلام النبي صلى الله عليه وسلم بشكل معين، وفي مقابل ذلك كان يوجد جماعة كثيرة من الصحابة قد فهمت كلام النبي صلى الله عليه وسلم بصورة مختلفة، وعُرفت بعد ذلك بأهل السنة والجماعة. على أن هذا الفهم المتباين للدين الإسلامي

(1) ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، ج13 ص64

(2) انظر، سروش، **أرحب من الإيديولوجيا** ص284

ISSN: 2462-2508

والذي في ضوئه تشكلت المذاهب يعتبره الدكتور سروش ظاهرة دينية بشرية تسعى لفهم الدين[1].

يقول الدكتور سروش: "فلا يوجد تشيع خالص في الحقانية ولا تسنن كذلك، أي أن التشيع الموجود الذي هو عبارة عن مجموعة آراء ومعتقدات علماء الشيعة لا يمثل الحق الخالص، لأن علماء الشيعة بأنفسهم مختلفون في الرأي كثيرًا."[2]

وعلى هذا الأساس فإن الدكتور سروش يرى أن فهم علماء ومشايخ الشيعة كالطوسي (385هـ)[3] والمجلسي (1070هـ)[4] والفيض الكاشاني (1091هـ) [5] والطباطبائي (1981م) [6] والخميني (1989م) [7] لأصول وعقائد مذهب التشيع متفاوت ومختلف بدرجة كبيرة فيما بينهم. وهذا الاختلاف موجود في نظره عند مذهب أهل السنة والجماعة كذلك، ولذا فإنه يرى أن السمات التي يتسم بها التشيع يتسم بها التسنن أيضًا وبالتالي فالمذهبين في نظره بهذا الحكم، ومن هنا يتساءل سروش: هل أن عقائد المجلسي وما فهمه يمثل التشيع الخالص أو أن جهود العلامة الطباطبائي ومؤلفاته التي تتناول المذهب الشيعي تمثل التشيع الخالص؟ وكذلك بالنسبة لأهل السنة والجماعة فإن سروش يطرح نفس السؤال فيما إذا كان الشيخ ابن تيمية (728هـ) يمثل التسنن الخالص أو أن التسنن هو انعكاس لفكر محمد عبده (1905م) ؟. وانطلاقًا من تعدد فهم علماء الشيعة للتشيع وعلماء السنة للتسنن، يرى سروش أن علماء المذاهب الذين وضعوا معتقدات المذاهب ومنظومته الفكرية على أنها تمثل التشيع أو التسنن الخالص، ولم يأتوا بشيء جديد سوى أنهم أضافوا فرقة جديدة للفرق المنتمية للمذهب الشيعي أو للمذهب السني[8].

(1) سروش، **التشيع وتحديات الديموقراطية الدينية**، ترجمة: السيد حسن مطر، مجلة نصوص معاصرة، السنة 6، العدد 21 ط1 ص17

(2) سروش، **الصراطات المستقيمة: قراءة جديدة لنظرية التعددية الدينية** ص75

(3) وهو الشيخ أبو جعفر، محمد بن الحسن بن علي (385هـ-460هـ) ويلقب بشيخ الطائفة ويعد من كبار علماء ومتكلمي الشيعة ومحدثيهم، قال عنه العلّامة الحلّي في (الخلاصة): "شيخ الإماميّة قدّس الله روحه رئيس الطائفة، جليل القدر، عظيم المنزلة، ثقة، عين، صدوق، عارف بالأخبار والرجال والفقه والأُصول والكلام والأدب، وجميع الفضائل تنسب إليه، صنّف في كلّ فنون الإسلام، وهو المهذّب للعقائد في الأُصول والفروع والجامع لكمالات النفس في العلم والعمل" الحلي، **خلاصة الأقوال في معرفة أحوال الرجال**، تحقيق: جواد القيومي، ط1، ص 249

(4) هو محمد باقر المجلسي، يعد من كبار علماء الشيعة الإمامية. ولد في عام 1037 هـ في مدينة أصفهان، له مؤلفات كثيرة. قال عنه الحرّ العاملي: "مولانا الجليل محمّد باقر بن مولانا محمّد تقي المجلسي، عالم، فاضل، ماهر، محقّق، مدقّق، علاّمة، فهّامة، فقيه، متكلّم، محدّث، ثقة ثقة، جامع للمحاسن والفضائل، جليل القدر، عظيم الشأن" وتوفي سنة 111هـ. الحر العاملي، **أمل الآمل**، تحقيق: السيد أحمد الحسيني، ط1، ج2، ص 248

(5) عالم وعارف من علماء الشيعة واسمه محمد محسن بن مرتضى بن محمود المشهور بلقب الفيض الكاشاني (1007هـ- 1091هـ)، وقد كان محيطاً بكثير من العلوم الفقهية والأخلاقية، له مؤلفات كثيرة. انظر الفيض الكاشاني، **الوافي** ط1، ص17 وما بعدها.

(6) عالم ومفسر شيعي كبير (1904-1981م)، يعد من أشهر فلاسفة و عرفاء الشيعة في القرن العشرين. اشتهر بتفسيره الموسوم بالميزان وبكتبه الفلسفية كبداية الحكمة ونهاية الحكمة وغير ذلك. انظر السبحاني، **تذكرة الأعيان**، ط1، ج1، ص431 وما بعدها.

(7) انظر ترجمته في صفحة 7 من الرسالة.

(8) سروش، **الصراطات المستقيمة: قراءة جديدة لنظرية التعددية الدينية** ص 76

ISSN: 2462-2508

وكأنَّ الدكتور سروش يريد أن يثبت صحة دعواه من خلال الاحتجاج بمضمون قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ١٠٣ ﴾ [يوسف: 103]

وبقوله تعالى:﴿ وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ ١٠٦ ﴾ [يوسف: 106] بمعنى أن سروش يريد أن يقرّب استدلاله بما أسلفنا من الآيتين الكريمتين بالتأكيد بأن الله عز وجل قد أشار في كتابه بشكل صريح بأن من السنن الإلهية كراهية أكثر الناس للحق ورفضهم إياه وجنوح أكثر الناس إلى الباطل والضلال والانحراف. يقول الدكتور سروش في هذا الشأن: "عندما ينادي القرآن الكريم برفيع الصوت أن أكثر الموحدين هم مشركون وأن إيمانهم ملوث بالشرك، يأتي هؤلاء الغافلون الذين لم يتدبروا القرآن الكريم ليصروا على حقانية أحد المذاهب وعدم قبول هذه الحقيقة وهي أن أكثر الشيعة أو السنة يعيشون حالة تلوث العقيدة وأن إسلامهم مشوب بالباطل، أليس إسلامنا يعني إدركنا وفهمنا للإسلام؟"[1]

ولعل الدكتور سروش في كلامه هذا ينطلق من رؤية مفادها استحالة وجود حقّانية مطلقة في مذهب التشيع أو مذهب أهل السنة والجماعة أو في أي دين آخر لكون الفهم البشري مشوب بالباطل ومعرض للخطأ والتلوث في العقيدة.

الأثر الثاني: التنصل من الدين وأحكامه:

من المخاطر التي تعترض الإيمان بنظريات سروش في العقل والدين هو عدم الاطمئنان إلى حقانية الدين الإسلامي الذي يؤمن به المسلم؛ ذلك لأنه ذهب إلى تخطئة جميع الأديان والمذاهب وجعل لجميع المذاهب والأديان نصيبًا من الحق والصواب، ومن هنا نتساءل: كيف يمكن للإنسان أن يعتنق دينًا أو مذهبًا يمتلك جزءًا من الحقيقة ويشوب جزءه الآخر كثير من الباطل؟!.

وتتضاعف الخطورة حينما يضاف إلى فكرة التعددية أن مساحة الدين نفسه ضيقة وأنه لا يعد المسلم بالكثير، بمعنى أن الخلل نفسه يكمن في الدين لقصوره عن تلبية احتياجات البشر فضلًا عن المعرفة الدينية[2].

ألا يؤدي تبني مثل هذا الرأي إلى عدم الوثوق بما نحن عليه من عقيدة ومذهب وإسلام؟! ولهذا فإن دعوى سروش هذه تؤول في النهاية إلى التحلل من الدين والتنصل منه فهي لا تترك مجالًا للثقة بالدين أو الثقة التامة في كل مذهب ودين؛ إذ أنها جميعًا ذات خطإٍ وصواب.

الأثر الثالث: التشكيك في المعارف الدينية وضرب ثباتها:

من الآثار التي يمكن ملاحظتها حين العمل بآراء سروش هذه هو عدم الاعتماد على المعرفة الدينية لكونها متغيرة وتمثل قراءة للمفسر أو القارئ وحسب، والحال أن الطريق العرفي والعقلائي الذي يعتمد عليه المسلم هو المعرفة الدينية، فإذا ألغينا المعرفة الدينية المستوحاة من صريح

(1) سروش، **الصراطات المستقيمة: قراءة جديدة لنظرية التعددية الدينية** ص77

(2) الكربابادي، **قراءة في تعدد القراءات: قراءة في مبادئ التعددية في كلمات الدكتور سروش**، ط1، ص 377-378

ISSN: 2462-2508

النصوص الدينية والتي ثبتت بالأدلة القطعية ونزعنا القداسة عنها، فإننا سنكون قد سلبنا الثبات في عقائد المسلمين وبذلك لن تكون هناك عقيدة مهما صغرت أو كبرت بمنأى عن التبديل والتغيير.

وإذا أضفنا إلى ذلك وجوب الاحترام والاعتراف بالقراءات الأخرى مهما كانت، وكذلك قضية التعبد والتقديس للمعرفة الدينية الصريحة فإننا سنفتح الباب أمام القراءات الشاذة والآراء المنحرفة لتكتب باسم الإسلام وتضرب الشريعة وخالقها ورسولها.

الأثر الرابع: التأصيل لطرائق معرفية تفتقر إلى العلمية

إن مآل تبني آراء سروش في العقل والدين لا سيما في مجال التعددية للنص الديني هو فتح المجال لاستخدام المناهج والآليات المعاصرة – والتي لم تنقَّح- في فهم النصوص الإسلامية كالتي يطبقها أصحاب الفكر الحداثي المعاصر من قبيل المناهج الألسنية والعقلية والهرمنيوطيقة وغير ذلك.

الأثر الخامس: إيجاد مناخ لنشوء البدع والضلالات:

من الأخطار التي يؤول إليها موقف سروش من العقل والدين هو فتح الباب إلى البدع والضلالات، ومن شأن البدع أن تمزق المسلمين وتوقع الناس في شرك الشيطان وتفتح مناخًا لنشوء فرق وأحزاب وطرائق دينية كثيرة ومختلفة، وإلى ذلك أشار الشيخ ابن تيمية في قوله: "والبدعة مقرونة بالفرقة كَمَا أن السّنة مقرونة بِالْجَمَاعَة فَيُقَال أهل السّنة وَالْجَمَاعَة كَمَا يُقَال أهل الْبِدْعَة والفرقة."[1]

الخاتمة

أدى تغير رؤية الدكتور سروش للعقل والمعرفة الدينية وتمثلاتهما إلى انحراف في تناول الفكر الإسلامي وآليات فهم الدين التي ينطلق منها سروش، فقد ماثل في فكره التيار الحداثي المعاصر، الذي لم يتردد في توظيف ترسانة من المناهج الغربية في تفسير وفهم الدين الإسلامي فقهًا وعقيدة وأخلاقًا حتى خرج لنا بفكر غريب وبعيد عن ما ثبت بصريح النصوص الدينية.

إن موقف الدكتور سروش من العقل قد ألغى قيمته وأسقط من مكانته على الرغم من الحجم والمساحة الكبيرة التي جعله سروش يخترقها إلا أنه له مع جعله يدرك جميع الأشياء إدراكًا شاملًا على حد دعواه فإنه – في نظره- عاجزٌ وقاصرٌ عن الوصول إلى الحقيقة ، وأقصى ما يمكن أن يصل عنده العقل من حقائق ومعارف لا يمكن الجزم واليقين والقطع بصوابيتها وصحتها.

وأما موقفه من الفكر الإسلامي فقد فصل سروش بين الدين وبين المعرفة الدينية وجعل الأخيرة بمثابة القشور التي لا تضر اللب – أي الدين – في شيء، فنسب لها التغير والتبدل وسلخ عنها القداسة فشطب أكثر المعارف الدينية المستوحاة من القرآن والسنة في نظريته الذاتي والعرضي في الدين، وأدى ذلك إلى تضييق نطاق ودوره في حياة المسلم.

(1) ابن تيمية، الاستقامة ط1 ص42

ISSN: 2462-2508

وقد كانت هذه الدراسة تحاول رسم الملامح العامة لرؤية مفكر معاصر يدعي الإسلامية في فكره عند تعاطيه للعقل والدين والمعرفة الدينية، كان قد سلكها مثله الكثير من دعاة التجديد والإصلاح الإسلامي في العصر الراهن، ولكنه أخطأ الطريق وانحرف في رؤيته عن الصواب.

وختامًا، نسأل الله العلي القدير أن يثبتنا على صراطه المستقيم، وأن يتقبل منا هذا القليل، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

النتائج:

أولًا: احتوت آراء الدكتور سروش بحضور للأدبيات الصوفية و العرفانية لا سيما المتعلقة بفكر جلال الدين الرومي مقارنة بالنصوص والأحاديث الشيعية، فهو لم يفتأ يستشهد بها ويأسيس النظريات من خلالها.

ثانياً: أسس الدكتور سروش لمفهوم البلورالية أو التعددية الدينية وجعل لها فهمًا جديدًا – في نظره- من خلال نفي النظرة الأحادية عن الفرق والأديان المختلفة، ولكن دعواه هذه قد سيقت من قبل، فهي تدعو إلى تعدد الحق ونفي الحقيقة وجعل الجميع في قارب النجاة حتى لو خالفوا ضروريات الدين، ومن الواضح فساد دعواه وعدم استقامتها مع بديهيات الفكر الديني.

ثالثاً: إن الانعكاسات التي أسقطها مشروع الدكتور سروش على الفكر الإسلامي الشيعي جعلته موضع شك وتهمة في عقيدته وتشيعه لأن بعضها من أصول الدين وضرورياته وقد واجه ردودًا وانتقاداتٍ كثيرة إزاء ذلك جعلته في صف الذين انسلخوا من التشيع وانحرفوا عن هدف التجديد.

سادسًا: يمكن القول إنَّ الاستناد إلى آراء سروش في العقل والدين والفكر الإسلامي وتطبيق تمثلاتها على العقل المسلم لن يؤدي إلى عدم إصلاح الفكر الإسلامي وحسب، بل سيسهم في الخروج عن الجادة وضياع ونفي ضروريات الدين الإسلامي وبديهياته.

المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم.
2. ابن تيمية، أحمد عبد الحليم، **الاستقامة**، تحقيق: د.محمد رشاد سالم ط1 (المدينة المنورة: جامعة الإمام محمد بن سعود –1403هـ).
3. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل الدمشقي، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: سامي بن محمد سلامة ط2 (الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع – 1999م).
4. **التعددية والاختلاف: تجليات التعايش بين الأديان والثقافات**، قضايا إسلامية معاصرة، العدد20-1432/21-2002م.
5. حب الله، حيدر، **التعددية الدينية: نظرة في المذهب البلورالي** ط1 (بيروت: دار الغدير –2001م).
6. الحر العاملي، محمد بن الحسن، **أمل الآمل**، تحقيق: السيد أحمد الحسيني، ط1 (إيران :دار الكتاب الإسلامي- ب س).
7. الحلي، الحسن بن يوسف، **خلاصة الأقوال في معرفة أحوال الرجال**، تحقيق: جواد القيومي، ط1(إيران: مؤسسة النشر الإسلامي- 1417هـ).

ISSN: 2462-2508

8. الريشهري، محمد، **موسوعة العقائد الإسلامية،** تحقيق : مركز بحوث دار الحديث، ط1 (إيران: مركز دار الحديث – 1425هـ).

9. سروش، **الصراطات المستقيمة: التعددية الدينية بين النفي والإثبات،** مجلة قضايا إسلامية معاصرة: التعددية والاختلاف: تجليات التعايش بين الأديان والثقافات، ، العدد20-1432/21-2002م.

10. سروش، عبد الكريم، **أرحب من الإيديولوجيا،** ترجمة: أحمد القبانجي ط1 (بيروت: دار الانتشار العربي –2014م).

11. سروش، عبد الكريم، **الصراطات المستقيمة: قراءة جديدة لنظرية التعددية الدينية،** ترجمة: أحمد القبانجي ط1 (بيروت: دار الانتشار العربي – 2009م).

12. سروش، عبد الكريم، **الطرق المستقيمة: قراءة في التعددية الدينية،** ترجمة حيدر حب الله، مجلة نصوص معاصرة: ملف العدد: اتجاهات العقلانية في الكلام الإسلامي (2)، (العدد الخامس، السنة الثانية، شتاء 2006م، 1426هـ).

13. سروش، عبد الكريم، **العقل والحرية:** ترجمة أحمد القبانجي ط1 (بيروت: دار الانتشار العربي- 2010م).

14. الشافعي، أبو الحسين يحيى العمراني اليمني، **البيان في مذهب الإمام الشافعي،** تحقيق: قاسم محمد النوري، ط1 (جدة: دار المنهاج – 2000م).

15. العاملي، مالك مصطفى وهبي، **قراءة في التعددية الدينية: هل هي دعوة إلى اللادينية؟** ط1 (بيروت: دار الهادي – 2007م).

16. العياشي، محمد بن مسعود، **تفسير العياشي:** ب ط (طهران: المكتبة العلمية – ب ت).

17. الكربابادي، علي أحمد، **قراءة في تعدد القراءات: مناقشة لمبادئ التعددية في كلمات الدكتور عبد الكريم سروش،** ط1 (بيروت: دار الصفوة – 2010م).

18. الكليني، محمد بن يعقوب، **الأصول من الكافي،** تصحيح وتعليق : علي أكبر الغفاري، ط:5 (إيران: دار الكتب الإسلامية – 1363ش).

19. مصباح اليزدي وعبد الكريم سروش وعلي رضا قائمي، **بين الطريق المستقيم والطرق المستقيمة: وجهات فلسفية في التعددية الدينية:** ترجمة حيدر حب الله، ط1 (بيروت: دار الهادي – 2002م).

20. النعماني، **نظرية القبض والبسط على ضوء الترجمة العربية،** مجلة قضايا إسلامية معاصرة: إشكالية التأويل، (العدد التاسع عشر 1423هـ-2002م).

21. الهلالي، عماد، **الفكر العلماني في إيران الإسلامية،** ط1 (بيروت: دار الانتشار العربي– 2012م).

22. اليزدي، محمد تقي مصباح، **تعدد القراءات،** ترجمة: ماجد الخاقاني ط1 (إيران: مركز إصدرات

ISSN: 2462-2508

مؤسسة الإمام الخميني للتعليم والبحث – 1425هـ).

23. حب الله، حيدر، **التعددية الدينية: نظرة في المذهب البلورالي**، ط1، (بيروت: دار الغدير–2013م).

24. لاريجاني، صادق، **المعرفة الدينية في نقد نظرية د. سروش**، ترجمة: محمد شقير، ط1 (بيروت: دار الهادي – 2008م).

25. مثنوي، **المثنوي**: مولانا جلال الدين الرومي، ترجمه وشرحه وقدم له: د. إبراهيم الدسوقي شتا (القاهرة: المجلس القومي للترجمة – 1996م).

26. عبد الكريم سروش، **شريعتي وتجديد الفكر الديني** ، الإسلام والتنوير: مجلة الوعي المعاصر عدد 8+9 : (بيروت: مؤسسة الفلاح للنشر والتوزيع – 2002م).

27. سروش، عبد الكريم، **القبض والبسط في الشريعة**، ترجمة: د. دلال عباس ط1 (بيروت: دار الجديد – 2002م).

28. طرابيشي، جورج، **معجم الفلاسفة: الفلاسفة– المناطقة– المتكلمون–اللاهوتيون– الصوفيون)** ط3 (بيروت: دار الطبيعة–2006م).

29. بوبر، كارل، **منطق الكشف العلمي**، ترجمة: الدكتور ماهر عبد القاهر ط1 (بيروت: دار النهضة العربية –1986م).

30. غادمير، هانس غيرورغ، **فلسفة التأويل: الأصول والمبادئ والأهداف** ترجمة: محمد شوقي الزين، ط2(بيروت: الدار العربية للعلوم – 2006م).

المصادر والمراجع الأجنبية

31. Ruben den Hertog, Three theological attempts to relate Islam to modernity: Comparing the views of Soroush, Ramadan and An-Na‘im, Netherlands: Utrecht University, 2010), Banafsheh Madaninejad , New Theology in the Islamic Republic of Iran: A Comparative Study between Abdolkarim Soroush and Mohsen Kadivar, Doctor of Philosophy, (USA: The University of Texas at Austin, 2011).